» أخبار ومتابعات: • جديد عبدالجبار الرفاعي .. مقدمة في

القائمة الرئيسية
الرئيسية
أخبار ومتابعات
حوارات
مقالات
بحوث وتحقيقات
مرافىء أدبية
ببلوغرافيا
دليل المكتبات
مصادر المعرفة
دليل المواقع الثقافية
معرض الصور
من نحن
اتصل بنا

أقسام الموقع » المشهد النقدي

عبدالله بشيو..شاعر الحلم الكوردستاني

نزار جاف - 27.06.2005 - 04:36 pm

نزار جاف

يكاد يكون الشاعر الكوردي المعروف "عبدالله بشيو" من الاصوات الشعرية القليلة التي كان و لايزال له حضور قوي في الواقع الثقافي الكوردي. وعلى الرغم من إبتعاده الغريب عن الاضواء، بحيث يكاد يكون نوعا من الانطواء على النفس، إلا أن عشاق شعره و مريديه يرونه راهبا قد جعل صومعة الشعر ركنه الآمن في خضم صخب الحياة. لكنه مع ذلك يكاد يكون أشهر إسم شعري في الساحة على وجه الاطلاق. وتأتي قوة الحضور الشعري لهذا الشاعر، من خلال نتاجه المملوء أصالة و صدقا و تعكس في إنسابيتها المشرئبة بموسيقى باطنية تتداخل وقع و صدى أنغامها مع وقع و صدى مفردات الهم اليومية للإنسان الكوردي، قصة معاناة شعب و قضيته المحاصرة بالزوايا الحادة للجغرافيا السياسية. هذا الشاعر الذي لم يلهث خلف هذه الجهة أو تلك، و لم يصفق لتيار دون آخر، ولم يتعاطى شعر الدكاكين و الكانتونات السياسية، بل كان على الدوام طودا شامخا يترفع عن هكذا مربعات ضيقة تلجم سمو و عظمة المحتوى الانساني لرسالة الشاعر. بشيو، الشاعر الذي حرص أشد الحرص على أن يكون إنتماءه و إرتباطه الحقيقي و الدائمي بشعب و أرض كوردستان، قد جسد في قصائده لوحات إنسانية ترفل بمعان متداخلة مع بعضها كألوان الطيف الشمسي. هو الشاعر المسافر أبدا بجواد الشعر وزاده الحلم، حلم بدأ كبرعم ورد و إستمر واسعا ليلف في فضائاته الرحبة كل الافاق. بشيو الذي يتميز شعره بسلاسة خاصة تكسبها عمق أصالتها و تجذرها الكوردستاني، طعما و نكهة فريدة من نوعها. هذا الشاعر المسافر على قلل الجبال و عرائش السهول و دماء الشهداء و إرهاصات الوجد، يسعى لإكتشاف عالم خاص يكون آجمه حافلا بتضاريس وجدانية تتداخل فيها الابعاد كي تمنحها شكلا و جوهرا مختلفا عن

واقعه المر الذي طالما دفعه للشعور بالاحباط و الغثيان. عبدالله بشيو، الصوت الذي هز وجد و ضمير كل كوردي قرأ قصيدته المشهورة "الاطفال" والتي يقول في مقطع منها:

"أيها الاطفال.. أيها الاطفال
أيها الجوعى و ذوي الحياة المريرة
على الصدر النفطي لبابا كركر
قرب الشلال المعاكس للهب الذهبي
أبصرت لائحة صغيرة كتب عليها
هاهنا مات جوعا طفل كوردي نضر العيون"

في هذا المقطع من هذه القصيدة المشهورة جدا للشاعر عبدالله بشيو والتي باتت"بعد قصيدة دلدار الخالدة" بمثابة"مارسيلياز"كوردية رددتها ولازالت ترددها أجيال متباينة، يربط بين عالمين متناقضين هما الثروة"من خلال النفط المتدفق من حقل بابا كركر"، والحرمان المتجسد في الطفل الكوردي البائس الذي مات جوعا على صدر هذا الحقل النفطي، وهو يرمز بذلك الى الشعب الكوردي الذي يزخر أرضه بالثروات و الخيرات المتنوعة لكنه محروم منها تماما. ولعل بشيو في قصيدته هذه التي كتبها في مطلع السبعينات من الالفية السابقة، قد نال قسطا وافرا من الموفقية في إختيار الرمز و الدلالة الشعرية و يؤكد أيضا على عمق العلاقة الكوردية بكركوك التي حاولت الحكومات العراقية السابقة "ولحد الان" فصلها و سلخها عن الوطن الكوردي. بشيو الذي عاش و يعيش في خضم المعاناة الكوردية يستمر في قصيدته الآنفة فيتطرق الى موطن الجرح حين يروي في السياق ذهابه الى الامم المتحدة"في عصر الامين العام الاسبق يوثانت" فيقول :

"إيها الاطفال
ليلا في الحلم كنت عابر سبيل الى مقر "يوثانت"
حين بلعتني البوابة
رأيت الاسود كانت له راية
رأيت الاخضر كانت له راية
رأيت الاحمر كانت له راية
كل من رأيت كانت له راية
وفجأة صرخوا بوجهي
الى الخارج يامن لاتملك راية
قلت لا تصرخوا حين أعود
سوف أروي هذا الدرس للأطفال"

الحلم الكوردي بالدولة المستقلة و الذي يرعب كل دول المنطقة و يجعل كل واحدة منها تتحدث عن مخاطر هذه الدولة، فهناك من سماها"إسرائيل الثانية" و هناك من وسمها بالخنجر السام المطعون في الظهر، وهناك من رأى فيها بداية تقطيع لأشلاء الامة الاسلامية و... وفي عباب هذا الكلام الذي يطول، يروي الشاعر بشيو "الحلم ـ الكابوس" حين دلف الى أروقة الامم المتحدة و رأى جميع أطفال العالم على إختلاف أشكالهم و ألوانهم يحملون راياتهم بأيديهم وكان هو"ممثلا لأطفال كودستان" بلا راية مما دفعوه خارجا فصمم أن يروي هذا الدرس المرير عند عودته لأطفال كوردستان. إن الحلم "المتجسد عذابا سرمديا" في وجدان كل كوردي بدولة مستقلة، كان الهاجس الاكبر لبشيو وقد حاول أن يعطي لهذا الحلم ـ الهاجس بعدا إستثنائيا حين ربط بينه و بين عالم الاطفال حيث الامل و التطلع نحو المستقبل، أو بتعبير آخر أراد أن يزرع الامل بالحلم في براءة الاطفال. بشيو الذي لم يكف عن الحلم و عوالمه الفنطازية، حمل دوما قضيته في نبض شرايينه وسافر بها متلوعا بسياط القهر و الحرمان من جغرافية حدود سياسية لدولة تدعى ذات يوم كوردستان. هاهو برغم الالم الذي زرعه الحزن في وجدانه من جراء نكسة6 آذار، وبرغم حدة و عنف الهجمة الشوفينية ـ القمعية ضد الشعب الكوردي، يمني الكورد بأمل وضاء و كإنه يتنبأ بما سوف يحصل من إنتفاضة جماهيرية عام1991إذ

يقول في قصيدته الموسومة"أمل" والتي كتبها عام1988:

"في الوقت الذي من فوق، من على القلل
الطوفان و العواصف تداف في المروج و الاشجار،
لاتحزن -
من تحت، في الوديان،
أعشاب جديدة و براعم تنمو."

هذا الكلام في ذلك الظرف الزمني الحالك و الصعب، كان أشبه بنبوءة بعيدة جدا عن التحقق، سيما وأن الحكم البعثي في ذلك العام"1988" على وجه التحديد، قام بعمليات الانفال السيئة الصيت حيث إبتغى من خلالها أن يقتلع جذور الحركة التحررية الكوردية من أعماق الريف و السهل و الجبل الكوردستاني. إنه مع إقراره بمرارة الذي جرى، لكنه مع ذلك كان يزف البشرى ببهاء الذي سوف يجري لاحقا في كل بقعة من كوردستان. وإذا كان زمن الانبياء قد إنقضى ولم يبق سوى الحلم، فإن شاعرنا يحاول أن يرقى بمعاناته و غبطته"المتوشحين برباط هلامي مزروع في أغواره" الى مديات قد تجعل أحيانا من الحلم مجردا من سطوته الميتافيزيقية حيال عالمه الجديدة التي يوزع فيها مفردات الالم و الفرح الكورديين وفق طقوس خاصة ببشيو وذلك حين يقول في قصيدته"وطن":

"الجنة و الجحيم ليسا بجديدين بالنسبة لي.
في نفس الوقت و ذات المكان،
رأيت ذلك، و رأيت هذا،
وطني، منذ كان،
الجنة و النار تحيط به من كل جانب!"

إلا أن ذلك لايعني أن عبدالله بشيو قد أقلع عن الحلم و بات يركن الى ملاذات جديدة في مداراته الشعرية، بل على العكس من ذلك تماما فهو قد ظل متشبثا بالحلم كسراط مبين ينير له مدلهمات الدروب و يغنيه عن التزلف الى إرهاصات العقل و الواقع اللذين يعجزان غالبا في حل طلاسم المعاناة الكوردية التي تجتر تعاويذها من بيادي و قفار الجغرافية - السياسية التي نحر في معابدها الوثنية الالوف من الارواح الكوردية قربانا لأوطان ليس للكورد فيها سوى الذبح و الوأد و التقتيل و التشريد. وقد حاول الشاعر بشيو ترجمة كل مأسلفنا في قصيدته الرائعة"منذ كنت و أنا أحلم" والتي يوزع فيها تقاسيم ممسوقة لإختلاجات و تموجات تساميه على واقعه المر و رنوه صوب آفاق جديدة يكتشف في مجاهيلها مروجا و روابي و ينابيع لاتحاصرها أو تخنقها جغرافية الخوف و التنكيل التي تحيق بالكورد. إنه يحاول التحليق بأجنحة الوجد في عوالم أحلامه المطلقة صوب آفاق ترسم شيئا من أمانيه الممنوعة عربيا و تركيا و فارسيا وحتى إسلاميا. هو الباحث و المسبار الذي لايهدأ له قرار، وما ركونه الى"حلم" بدأ مع تواجده و سيستمر حتى آخر رمق في حياته، سوى محاولة جادة"وليس سيزيفية" للخروج من دائرة حصار رسمت خطوطها العريضة بأكثر من لون. قصيدة"منذ كنت و أنا أحلم" هي في حقيقة أمرها إمتداد"عقلي - وجداني" لقصيدة" الاطفال"، ومحاولة قراءة مجددة اخرى لواقع مملوء بعذابات يجترها الشاعر في قصائده كآلام الطلق! وعلى الرغم من جنوح الشاعر نحو البساطة و العفوية في التعبير"وهي صفة حميدة إتسم بها بشيو، كي ينقل إختلاجاته الى أوسع شريحة في كوردستان"، إلا أنه وفي مطلع قصيدته يحاول الولوج الى عوالمه"الحالمة" بمزيج من الرومانسية المدافة بشئ من الواقعية المتسامية عن الواقع العادي، بحيث يقترب من نوع من الشرح الفلسفي لحركة الواقع حين يقول:

"منذ كنت أحلم
حلم مخملي ذو لون بهي!
حلم عالي، مثل النجم،

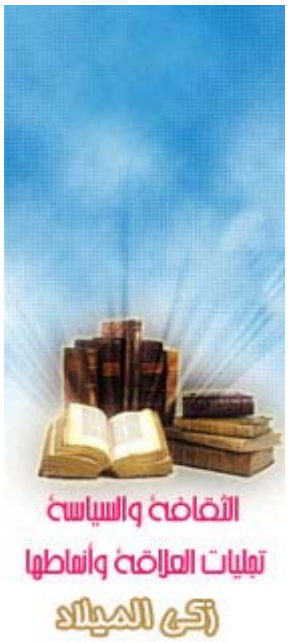

اخترنا لكم
البحث عن التسامح الضائع - مشاري الذايدي
التعدد المذهبي في السعودية - جعفر الشايب
الرد على آل سلهام لتبديد الأوهام - خالد النزر
تقشير المرأة .. ترقيص البرتقالة - محمد العباس
الجهود والمصادر الاثرية للمنطقة الشرقية - نزار العبدالجبار
الحياة في جزيرة تاروت بين عصر العبيد.. وحضارة أم النار

حلم ثاقب، مثل الشعاع و الصوت
منذ كنت أحلم:
يوم بعد يوم، عام بعد عام
أحلم.
خطوة بخطوة، بيت بعد بيت
أزرع الحلم"

الحلم العالي، هو "الواقع الجديد كما يريده في عالمه الخاص الذي يبتغي تعميمه"، و هو من خلال"الحلم العالي" يلفت الانظار الى عزوفه عن مجرد حلم عادي يراود عامة الناس، ولعل ترادف كتابة هذه القصيدة بعد سفر العذاب الطويل الذي مر الشعب الكوردي، بدءا من جرائم "الزعيم صديق"(*) في الستينات، ومرورا بإتفاقية آذار السوداء بين العراق و إيران مع مانجم عنه من تداعيات دفعت الحكم البعثي الى قصف حلبجة بالاسلحة الكيمياوية و إرتكابه مجازر الانفال المغالية في بشاعتها و لاإنسانيتها و وصولا الى الهجرة المليونية هربا من جحيم نظام فريد في قسوته و إجرامه بحق الكورد على وجه الخصوص. كل هذا العذاب الذي تلظى بشيو بناره التي إكتوت بها أعماقه، دعته الى التخلي عن حلمه القديم، الحلم المألوف بنيل شئ من الحقوق القومية المشروعة ضمن إطار العراق، وعزوفه عن ذلك الى ماهو أشمل و أسمى، ولن يكون ذلك إلا دولة كوردية مستقلة. بيد أن الحس القومي المتدفق حيوية و عنفوانا لدى عبدالله بشيو ليس بذلك الحس الضيق الافق الذي يحجب عن رؤيته الافآق الانسانية الرحبة، هو ككوردي لا يستطيع أن يعزل ذاته في البوتقة القومية بعيدا عن الفضاء الانساني الرحب، لذا يتدارك في القصيدة ذاتها لينطلق صوب العمومية الانسانية المطرزة بخصوصية عذاباته، فيقول:

"أحيانا حرب النجوم،
تشير نوبل، حلبجة المنكوبة،
قناع مايكل جاكسون،
زرع الانسان في أنبوبة،
الانترنيت و ثقب الاوزون... يدفعونني للهروب يرعبونني"

إن الجريمة قد تتخذ إشكالا و أنماطا متباينة و قد تكون في بعض الاحيان بارزة للعيان في بشاعتها كما في حالة"حلبجة المنكوبة" وقد تكون متخفية تحت براقع تمويهية من ذرائع واهية كإستخدام التقنية النووية لأغراض إنسانية و فجأة نصحو على كارثة حمقاء مثل"تشير نوبل"، أو قد تكون جريمة بحق لا الوجود الانساني على الكوكب الارضي فحسب، وإنما حتى بحق الحياة بكل صورها كما يتجلى ذلك في "ثقب طبقة الاوزون" الذي يظهر مدى إيغال الانسان في سعيه"الغير هادف إنسانيا" لتحقيق الارباح بأعلى الوتائر على حساب كل شئ آخر حتى و إن كان ذلك الشئ إنسانيته! بشيو الذي يربط بين ثلاث حالات قد تكون متباينة كما قلنا في أشكالها و أنماطها، لكنها تشترك جميعا في أنها تعكس الجريمة و لا شئ آخر سوى الجريمة. لكن عبدالله بشيو مع ذكره و تحديده لثلاثة أنواع من أنماط الجريمة، فإنه و كمرادفات لتلك الجرائم، يذكر "حرب النجوم" و"قناع مايكل جاكسون" و " زرع الانسان في الانبوبة" و "الانترنيت" كحالات غريبة للحلم الانساني الذي مازال الانسان يحلم بأكثر أنواعه شرا"حرب النجوم" أو قد يكون تحقق شيئا من حلم ممسوخ بعضه يتخفى تحت بعضه ليمنح حلاوة الوهم للإنسان كما في قناع جاكسون. ويبدو بشيو ذو نزعة تشاؤمية" شوبنهاورية" مفرطة حين يذكر"زرع الانسان في الانبوبة" وكأنه يعلن عن حصر الانسان في أنبوبة تدافعه الجنوني صوب الافاق بدون منحه شيئا من الفرصة لبعده الاحساسي كإنسان، وحتى الانترنيت لايفرح بشيو بل يخيفه و يزرع الرعب في أعماقه كأنسان. لذا لايملك عبدالله بشيو الشاعر، عبدالله بشيو الانسان، عبدالله بشيو الحالم بعوالم مثالية في إنسانيتها، سوى الهروب مرعوبا أمام هكذا جرائم و هكذا تقدم علمي يسحق إنسانية الانسان في سبيل أهداف مجنونة "لاأدرية"!! عبدالله بشيو الذي لا يستطيع هجره لحالة إدمانه على العذاب القومي يطرح من خلال قصيدته"مكافأة" جانب آخر من إحساسه بالمعاناة، وذلك حين يطرح قضية وجوده القومي أمام كنه و معنى الوجود أمام "الرب" فيقول:

- هاشم الجحدلي
الإنترنت في العالم العربي : مساحة جديدة من القمع ؟ (1) - الشبكة العربية
شعرية النصوص بين المبدع والمتلقي - حسين المنجور
قبيلة عبدالقيس تاريخ وأمجاد (2) - خالد النزر
قائمة المراسلات
اشتراك
إلغاء
موافق

**" رباه كافأني بحياة اخرى!
لتكن قصيرة كالورد و الفراشة.
بشبر واحد من الارض أنا أقتنع،
لكن فقط لاأعيش مثل الاجنبي!"**

الكوردي في ديار بكر أو في القامشلي أو في مهاباد و سنندج"كما كان في كوردستان العراق أيام القمع و الاضطهاد"، يعيش حالة هي أشبه بالاجنبي الغريب عن المكان الذي يعيش فيه، وقبل مدة سمحت الحكومة السورية بإعتبار الكورد مواطنين و منحتهم الجنسية السورية!! وقبل ذلك كانت تركيا الكمالية قد إعتبرت الكورد في وطنهم بدياربكر و ماردين و وان أتراك الجبال، أي إنها مع إعتبارهم أجانب لم تكتف بذلك و إنما سحبت منهم حتى إنتماءهم القومي! بشيو يطرح هذا الهم أمام روح العدالة في الوجود، أمام الله ويتوسم في الرب أن يكافأه بحياة اخرى قصيرة ولو بعمر الورد و الفراشات وعلى شبر واحد من الارض ولكن شريطة أن لايكون عيشه في تلك الحياة كالاجنبي كما هو حال الكورد في أوطانهم. و تأتي قمة تألق الشاعر بشيو في تقمصه لمعاناته القومية حين يقر بتوحده مع القضية و ذوبانها فيها، وذلك حين يقول في قصيدته"الذوبان":

**"بك أرى.
بك أسمع.
بك أتحدث.
لكن، واأسفاه!
الشهرة لي، وأنت مفقودة.
كم هو ظلم لدي أن هكذا يظنون
أنك لست أنا بل شخص اخر!**

كل حواس و مشاعر بشيو مع قضيته، مع وطنه كوردستان. كل مايقوله و يسطره من شعر و كلام و أحاسيس هو نابع من عشقه الكوردستاني. لكن الناس يذكرون عبدالله بشيو و لايذكرون كوردستان مصدر و روح إلهامه و وجوده، وقد يكون الشاعر يلمح الى أنه من كثرة إحساس الكوردي بالاغتراب في وطنه حتى بات في أحكامه غريبا أيضا وذلك حين يفصلونه عن وجده و معنى وجوده، عن كوردستان. ولعل عبدالله بشيو بهكذا إحساس فريد قد يندر له مثيل في مثل هذه الايام، يريد أن يبعث برسالة ذات مغزى عميق مفادها: أن الشاعر الذي لم يمر شعره بآلام الطلق المتأتية أصلا من جذور راسخة تمتد عميقا في شرايين أمته و إنسانيته، ليس بشاعر. ولسان حاله يريد أن يقول أيضا من خلال شعره، أن الامة ينتاب همها و معاناتها المخاض فيولد الشاعر.

**كاتب و صحفي كوردي
مقيم في المانيا**

"*" الزعيم صديق: ظابط عراقي كبير، إرتبط إسمه بفترة عصيبة مرت على كوردستان خلال الستينات من القرن الماضي، وقد أوغل في إتباع القسوة و العنف مع الكورد حتى صار مثالا لذلك، حتى جاء صدام فصار الاوحد في عالم القسوة و الجريمة.

جميع الحقوق محفوظة لشبكة أقلام الثقافية
اتصل بنا على webmaster